الفصل السادس:توازن القوى

المبحث الاول:مفهوم توازن القوى

ان العلاقات الدولية هي صراع من اجل القوة لذلك فتوازن القوى يجب ان يدرك ويفسر في نطاق علاقات القوة،فتوازن القوى ظاهرة مستمرة ملازمة للمجتمع البشري مادامت الوحدات السياسية المؤلفة له تحفظ بميزة القوة في علاقاتها مع غيرها.اذ تحاول الدول البحث عن التوازن فيما بينها من اجل منع سيطرة دولة واحدة العالم.

ان كلمة توازن او توازن القوى كما يرى رينولدز(تثير الانطباع الذهني بوجود ميزان مع ثقل في كل واحدة من الكفتين بحيث تتوازن المقادير في حالة التعادل. ان توازن القوى يقصد به حينئذ وصف حالة فيها دولتان او مجموعتان من الدول او كل دول العالم المتجمعة حول مركزين،تفهم انها تتصرف تقريبا بنفس المقادير من القوة.

_ اما كوينسي رايت فيرى بأن(توازن القوى بوصفه نظاما مصمما لأدامة الاعتماد الراسخ في كل دولة اذا ما حاولت الاعتداء فأنها ستجابه بجمع لايقهر من الاخرين).

_اما فاتيل فيعرف توازن القوى بأنه(تنظيم الامور بحيث لاتوجد قوة قادرة على ان تسود بصورة مطلقة او ان تفرض قوانين على الاخرين).

_ويرى شوارزنبرغر بأن (توازن القوى هو تعادل او قدر من الاستقرار في العلاقات الدولية بحيث ينبثق تحت أوضاع ملائمة من تحالف دول او في ادوات اخرى).

- ويعرف ستيفن روزن توازن القوى بأنه(مفهوم ذو معانٍ كثيرة خصوصا التعادل واللاتعادل او التناوب في الهيمنة بالاضافة الى كونه مبدأ شاملا تاريخيا خاصة).

- ان توازن القوى مصطلح يشوبه الغموض ويعني عده اشياء التعادل واللاتعادل واللاتوازن ، ويرى كراب ان التوازن يعني اشياء ثلاثة :-

١- انه يعني المساواة التامه في القوة بحيث لاتؤدي الى هيمنه احد الاطراف على الاخرين

٢- انة يعني وجود طرفين متساويين وان دولة ثالثة تقوم بمهمة الحفاظ على التوازن وتسمى بالدوله الحاملة للميزان

٣- قد يؤدي التوازن الى ترجيح كفة احد الطرفين على حساب الطرف الاخر ممايمنحه هيمنة على خصمه

فالفكرة الكامنه وراء نظام توازن القوى في العلاقات الدوليه هي ان الطابع المميز لهذه العلاقات هو الصراع والذي لاتمليه عوامل الاختلاف في المصالح القومية للدول فحسب وانما ينبع في الجانب الاكبر منه من محاولة كل دولة زيادة قوتها القومية على حساب غيرها من الدول، ويترتب على ذلك انه اذ امكن لدولة

واحدة ان تحصل على تفوق ضخم وساحق في قواها والتي سيدفع الى بها تهديد حرية الدول الاخرى واستقلالها،فأن هذا التحدي سيدفع الدول المحدودة القوة الى مواجهة القوة عن طريق التجمع في محاور او ائتلافات قوى مضادة لا تمكن دولة او مجموعة من الدول من الاعتداء على غيرها فهنا يحقق توازن القوى اثرين هامين اولهما بحفظ السلم الدولي،وثانيهما بحماية استقلال الدول الاعضاء في هذة المحاور والتكتلات .بمعنى ان مبدأ توازن القوى يحاول الابقاء على الاستقرار السائد في علاقات القوى وردع العدوان وتفادي أي اختلال في علاقات القوى في توزيعاتها القائمة.بهذا يعني (توازن القوى تعادل بين قوة اعضاء المجتمع الدولي يمنع أي منهم ان يكون قوياً لدرجة فرض رغبته على الاخرين).

والمقصود بأن توازن القوى يعني (التعادل) هو ضمان التعادل في القوة بين الدولتين او المجموعتين من دول ،فلن تتمكن دولة او الدول من القيام بالعدوان لوجود قوة مقابلة لها،ونظرياً فان نظام توازن القوى هو احد الأنظمة الذي توظف فيه القوة اوالتهديد لتغيير التوازن.واذا ما حاولت دولة تعديلية السعي لتحقيق مصالحها فأن التغيير في القوة يمكن ان يعطي الضوء الاخضر للقيام بالتصحيح او التعديل والضوء الاحمر لمنع اية دولة تريد مقاومة التغيير،كما ان أي تحد غير مسموح به للهياكل القائمة عن طريق اقامة الاحلاف يعد امراً ممنوعاً بين قوى الوضع القائم. وتحت توازن القوى فأن كل دولة يجب ان تكون على استعداد نتيجة لتغيير الظروف الدولية لتغيير مساندتها من دولة او مجموعة دول الى اخرى غيرها اذا اتفقت معها في القيم والمصالح. وعندما نتحدث عن توازن القوى بين الهند وباكستان نتحدث عن تعادل بينهما في القوة في المجال العسكري وفي علاقاتهما مع القوتين العظمتين اثناء الحرب الباردة.

والمعنى الاخر لتوازن القوى((اللاتعادل)) وهو الموقف الذي تحقق فيه دولة واحدة او عدة دول توازن قوى لصالحها بحيث يمكن منع اية محاولة لأفساد الوضع القائم وفي هذه الحالة فأن توازن القوى له صلة قوية جداً بالحفاظ على الوضع الراهن وكل دولة في حلف معين تفسر توازن القوى بالمعنى الذي يحقق التوازن لصالحها والذي بواسطتة يتم الحفاظ على السلام الذي يتلائم مع اختياراتها الخاصة، وفي هذا المجال فأن هناك فرصة للنجاح او الفشل للدولة التي تريد تصحيح التوازن ويمكن اجراء التصحيح او التعديل من قبل الدول التي ترفض الوضع الراهن. والمثال على ذلك هو توازن القوى بين الدولتين العظميين في ظل نظام ثنائي القطبية فالتوازن كان يعتمد اعتماداً اساسياً على القوة العسكرية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي.

ويعني توازن القوى ((اللاتوازن)) وذلك عن طريق سعي احد الاطراف للتفوق على حساب الميزان،اذ يتناوب من التعادل الى اللاتعادل او التناوب في اللاتعادل، ومن هيمنة لطرف واحد الى الهيمنة للطرف الاخر. فحصول (اسرائيل)على منظومات اسلحة يؤثر على توازن القوى في الشرق الاوسط ويؤدي الى تعزيز مكانتها الاستراتيجية فأعتراف المانيا الغربية (بأسرائيل)عام ١٩٦٥ ساهم في تغيير القدرات الكامنة (لأسرائيل) سحيازة سلع صناعية واسلحة ومنحها صديق قوي دعمها في سياستها المساومة مع العرب.وكذلك

ساهم التعاون الاستراتيجي الامريكي –(الإسرائيلي) في تعزيز قدرات (إسرائيل) العسكرية في الشرق الوسط ودعم تفوقها.

ويعد توازن القوى السياسة التي تحافظ على السلم لان التوازن يقوم على القوة وعلى استعداد كل طرف لمجابهة الطرف الاخر ويمتلك كل منها قوة متعادلة تقريبا،وفي وقت معين سيمتنعان من اللجوء للحرب لان صراعا بين القوى المتعادلة في القوة لايمكن ان يمنح احدهما نصرا على الاخر وانما في الاغلب يؤدي الى الدمار ، وبهذا المعنى يمكن ان نتصور توازن القوى لا يشكل تهديدا للسلام بقدر ما هو ضمان له فقيام الدولة(أ) بتطوير قدراتها العسكرية وتحقيقها تفوقا على الدولة(ب) سيشكل عاملا في قدرتها على الحاق الهزيمة بالدولة(ب) التي تضطر الى التحالف مع الدولة (ج) من اجل التخلص من تهديد الدولة(أ) وبالتالي سيتم اعادة التوازن معها ومتى ماعاد الوضع السابق فسيكون بمقدور توازن القوى من الحفاظ على السلام.ومع ذلك فهناك من يعتقد بأن هذه الحقيقة لا تتلاءم مع الانموذج السابق وذلك لعدم وجود توازن بالمعنى الدقيق للكلمة الا في حالة كون الطرفين يتمتعان بقوة متعادلة .وفي الحقيقة هناك اذن توازن تقريبي وان أي طرف يكون بقدوره الحصول على قوة هامشية يمكن ان يقود الى التوتر ومن المحتمل ان يؤدي في وقت معين الى الحرب.

ان المشكلة في التوازن تكمن في ان الدولة لا تكتفي بالتوازن وانما تحاول الحصول على قوة فائضة اكثر مما لدى الخصم مما يدفع الاخير للحصول على قوة مماثلة،وهكذا.يندفع الطرفان في سباق التسلح.فالتوازن قد يحقق او لا يحقق التعادل طالما استمر سباق التسلح ولان ايا منهما لايسعى للبقاء بأقل قوة من الطرف الاخر.

ان من نتائج حصول توازن القوى هو قيام الاحلاف و الحلف يتأسس نتيجة احساس الدولة المنضمة اليه بوجود تهديد مشترك وبسبب ذلك ترتبط الدول بعضها بالبعض الاخر. وان تشكيل حلف او كتلة سيؤدي بدون شك الى تشكيل حلف مناهض له.

ان النظام السياسي داخل الدولة له انعكاسات على توازن القوى التي هي سياسة ليست ملائمة لا للدولة الدكتاتورية ولا للدولة الديمقراطية مالم تكن الاعتبارات الجغرافية والسياسية والعسكرية ملائمة ايضا. فالديمقراطية لاعب رافض وقائد ضعيف في لعبة توازن القوى لأنها تهتم بشدة في سياسات القوى. وان الدكتاتوريات من جهة ثانية تهتم في مسائل الصراع والتنافس بأقامة القواعد التي تتلائم مع معتقداتها.

ان توازن القوى هو مبدأ اجتماعي عام في كل المجتمعات التي تضم عددا من الوحدات السياسة المستقلة.فمساعي الدول للحفاظ عليه ليست حتمية فقط بل تؤلف عامل استقرار سياسي في مجتمع الدول المستقلة ذات السيادة. فعندما يتعرض التوازن للاضطراب اما بفعل قوى خارجية او نتيجة تبدل عنصر او اكثر من العناصر التي تؤلف النظام، فأن هذا النظام يبدي ميلاً لاعادة التوازن الأصلي او لإقامة توازن جديدة. ان التمسك بمفهوم توازن القوى يعني رغبة الدوله في البقاء والحفاظ على استقلالها عند صياغة سياساتها.

ومن ضمن المفاهيم التقليدية في دراسة العلاقات الدولية ان توازن القوى يحدد فقط بواسطة القوة العسكرية، ولكن على العكس من ذلك نجد ان المفاهيم الحديثة في العلاقات الدولية تقر بالتأثير النسبي للقدرات العسكرية على توازن القوى لان هناك عوامل اخرى تلعب دور الى جانب القوة العسكرية. اذ يجب التمييز بين القوة العسكرية وبين القدرة بمفهومها الشامل. ان المفهوم الرئيسي في توازن القوى هو أثر القدرات الاقتصادية في التوازن ، فاليابان دولة قدراتها العسكرية محدودة اصبح لها تأثير اقتصادي في العلاقات الدولية وكذلك الاتحاد الاوربي وزيادة قدراته التنافسية.